السعر ريالان

نداء الفطرة

لدى الرجل والمرأة

تأليف

بن فهد العودة

ة الامام محمد بن سعود الإسلامية

210.4

ع س ن

٢١٠٫٤

نداء الفطرة لدى الرجل والمرأة

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

(دراسة لموقف الجاهليتين والإسلام من الفطرة)

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ

فسح الكتاب من المديرية العامة للمطبوعات
بالرياض برقم ٢٢٠م في ١٤٠٩/١/١٢هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

هذه معالجة سريعة لهذا الموضوع المهم «الفطرة» وبيان لأهمية مراعاتها، وموقف الإسلام منها، وموقف الجاهلية الأولى، والجاهلية المعاصرة. وهي محاولة قابلة للتعديل والإصلاح، والمؤمنون نصحة، فرحم الله امرءاً نبهني على خطأٍ أو نقص لأستدراكه بإذن الله.

والله الموفق

المؤلف

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أيها الإخوة والأخوات:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ (**ليلة أسري به أتى بإناءين في أحدهما لبن، وفي الآخر خمر، فقال: اشرب أيهما شئت، فأخذ اللبن فشربه، فقيل: أخذت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك.**

وفي لفظ: الحمد لله الذي هداك الفطرة، لو أخذت الخمر غوت أمتك.

وفي لفظ: أصبت أصاب الله بك، أمتك على الفطرة)(١).

وهذا الحديث مدار موضوعنا هذا، فقد بين فيه النبي ﷺ ثلاث فوائد:

الأولى: أن الإنســان مفطـور على أشيـاء كثيرة، ركّبَ عليهـا، وهي ما يسمى بـ «الفطرة»، فالفطرة هي ما جبل عليه الإنسان في أصل الخلقة من الأشياء الـظاهـرة والبـاطنـة، تلك الأشياء التي هي من مقتضى الإنسـانية، والتي يكـون الخـروج عنهـا، أو الإخـلال بها، خروجاً عن الإنسانية، أو إخلالاً بها.

---

(١) صحيح البخـاري مع الفتـح ٦/٤٢٨ ـ ٤٧٦. ٨/٣٩١، ١٠/٣٥ ـ ٦٩ مسلم ١/١٤٤، ١/١٥١، ١/١٥٤، ٣/١٥٩.

وهذا المعنى يفهم من كلام كثير من الأئمة كابن القيم، وابن حجر، وابن دقيق العيد، والسيوطى، وغيرهم من المحدثين والمفسرين.

يقول ابن القيم رحمه الله: «والفطرة فطرتان: فطرة تتعلق بالقلب، وهي معرفة الله ومحبته، وإيثاره على ما سواه، وفطرة عملية، وهي هذه الخصال (يعنى المذكورة في حديث الفطرة خمسٌ..). فالأولى: تزكى الروح، وتطهر القلب، والثانية: تطهر البدن..»

الثانية: أن الرسالات السماوية جاءت موافقة للفطرة، مؤيدة لها، منطلقة منها، ولذلك كان الإسلام دين الفطرة، قال تعالى: ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم**﴾[1].

ويعبر عن ذلك في الحديث شربه ﷺ للبن، فهو عبارة عن الإشباع الصحيح، والمنهج المنسجم مع الفطرة، وفي اللبن من الغذاء والصحة واللذة، والغناء، عن غيره ما فيه حتى قال فيه ﷺ في حديث ابن عباس: «**إنه ليس شيء يجزى مكان الطعام أو الشراب غير اللبن**»[2].

الثالثة: أن ثمت وسائل أخرى يمكن أن يسلكها الإنسان، وهي معارضة للفطرة، مخالفة لها، ويمثلها الخمر في الحديث، فهو رمز عن الإشباع المنحرف، وسلوك الطريق المصادمة للفطرة، وفي الخمر من الخبث والطيش

---

(١) الروم ٣٠.

(٢) الترمذي ٣٤٥٥ سنن ابي داود ٣٧٣٠ ابن ماجه ٣٣٢٢ وحسنه الحافظ ابن حجر في تخريج الأذكار.

والرجسية ما فيها، فهي تغتال العقول والأموال، والأديان والأبدان.

وسيكون حديثي في هذه الرسالة في ثلاث نقاط:

أولاهـا: ذكر الفطرة، والأشياء التي فطر عليها الإنسان.

والثانية: موقف الإسلام من الفطرة.

والثالثة: موقف الجاهلية والمناهج المنحرفة من الفطرة.

١ ـ الفطرة الإنسانية

الإنسان مفطور على أشياء كثيرة:

مفطور على حب الحياة، والتعلق بالبقاء، ولذلك تجد أن الطفل ـ مثلًا ـ وهو صبيٌّ لا يعقل لو هددته بأن تسقطه من فوق جدار، أو تسقطه في بئر، أو ترمي به من سيارةٍ، فإنه يرتعد ويبكي خوفاً من الموت والفناء، وهـذه فطرة لا يحتاج الطفل إلى تعلمها، بل هي مخلوقة معه، وكثيراً ما تتحدث الإحصاءيات عن نسبة الانتحار في العالم، لأنهم يعتبرون الانتحار تصرفاً شاذاً، يدل على انحراف في تربية هذا المجتمع أو ذاك.

مفطور على العبودية، فالإنسان ـ بطبيعته ـ ضعيف يحتاج إلى أن يتوجه إلى معبودٍ يسدّ فقره، أيا كان هذا المعبود، سواء كان بحق أو بباطل.

مفطور على حب الوطن، وحب الأرض التي نشأ فيها.

ومن الفطرة أن كلا من الجنسين ـ الذكر والأنثى ـ يميل إلى الآخر طبيعته.

ومن الفطرة أن الإنسان يحب الولد، ويحب المال.

ومن الفطرة أن الإنسان يميل إلى التستر، وألا ينكشف أو يتعرى أمام الناس، ولذلك يصف المتحدثون عن المجتمعات البدائية المتخلفة هذه المجتمعات بأنها مجتمعات عارية، ليس فيها حجاب ولا لباس.

الطفل منذ صغره يحس شيئاً فشيئاً بالخجل من ظهور سوءته أمام الآخرين.

وكذلك غريزة حب الملكية ـ بكسر الميم ـ فالإنسان ـ منذ يولد يبدأ تعلقـه بأشيائه التي يعتبرها خاصة، ويعدّ الإعتداء عليها ظلماً له، فهو متعلق بلعبه، وحذائه، وملابسه، وفراشه!، وقد تسوّل له نفسه السطو على أشياء الآخرين، وادعاء ملكيتها.

والظلم من شيم النفوس، فان تجد . . ذا عـفـةٍ فلعلـةٍ لا يظلـــم!

ومن الفطرة أن الإنسان يحب الاختلاط ببني جنسه، ومعاشرتهم، فهو «مدني بالطبع» ـ كما يقول ابن خلدون نقلاً عن ارسطو ـ وهكذا تجد أن هناك أشياء كثيرة جداً، الإنسان مفطور عليها، صحيح أنها قد تنمو مع نمو عقل الإنسان، ومع تربية، ومع معايشته للمجتمع، لكنها موجودة في أصل الخلقة، بحيث لو لم يوجد شيء ينميها، ولا آخر يعارضها لبرزت ونمت كما تنمو الشجرة من بذرتها، ولذلك قال ﷺ في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة «**كل مولود يولد على الفطرة**»[1] وقال أهل العلم: لو ترك مولود وشأنه وحيداً في غرفة، أو صحراء، وكبر لنطق باسم «الله».

---

(١) رواه البخاري ٣/٢١٨ ـ ٢٤٦ ومسلم ٤/٢٠٤٨.

٢ ـ موقف الإسلام من الفطرة

إذا كان من البـدهيات في حس كل مسلم ومسلمة أن خالق هذه الفطرة، هو منزل هذا القرآن، وهو الله تعالى، فمن الطبيعي أن نعلم يقيناً أن هذا الدين لابدّ أن يكون موافقاً للفطرة، إذ يستحيل أن يكون في دين الله أو شرعه أمراً يخالف ويعارض ما فطره عليه، فالحكيم العالم بما خلق، ومن خلق، يضع الشريعة المناسبة له، الملائمة لخلقه.

وكل أمر شرعي يخطر في بالك أنه يعارض الفطرة فيجب أن تعلم أنه لا يخلو من أحد احتمالين:

ـ فإما أنه أمر شرعي ولا يخالف الفطرة الصحيحة المستقيمة، فمخالفته للفطـــرة وهـــم.

ـ وإما أنه يخالف الفطرة فعلاً ولكنه لا يكون أمراً شرعياً، وإن نسبه الناس إلى الدين بغير علم ولا هدى.

وألخص الكلام عن موقف الدين من الفطرة فيما يلي:

أ ـ جاء الدين مقراً بالفطرة، غير متنكر لها، فمثلاً: حب الحياة الذي هو فطرة مركوزة عند الإنسان، جاء في القرآن ما يؤكد ذلك، يقول الله ـ عزل وجل ـ عن اليهود: ﴿**ولتجدنهم أحرص الناس على حيـاة**﴾ (١)، و«أحـرص» أفضل تفضيل تدل على اشتراك الناس جميعاً في الحرص على الحياة، ولكن اليهود أحرصهم عليها.

---

(١) البقرة ٩٦.

إذن فحب البقـاء، والحـرص على الحيـاة فطرة يؤكـد القرآن وجودها فـي الإنسـان.

وكذلك غريزة حب المال، حب الزوج، حب الولد بيّن الله تعالى وجودها في النـاس: ﴿**زين للنـاس حب الشهـوات، من النساء، والبنين، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسومة، والأنعام، والحرث...**﴾[1].

وهذا السياق مجرده لا يدلّ على مدح ولا ذم، إنما هو إشارة إلى أنها فطرة فطر عليها الإنسان، وغريزة ركبت فيه، ويأتي بعدُ ذكر: متى تكون هذه الأشياء محمودة، ومتى تكون مذمومة؟ المهم أنها غريزة وفطرة.

ولـذلـك لما ذكـر تعـالى المؤمنين ووصفهم بأنهم لفـروجهم حافـظون، عقب عليهـا بقـوله: ﴿**إلا على أوزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، فإنهم غير ملومين**﴾[2]، فكأن القضية قضية غريزة جبلية ليست ـ بذاتها ـ محل مدح أو ذم، ولكنها تحمد أو تذم بما يلابسها من القصد والنية، وطريقة الإشباع، وآدابه.

وفي قضية الـزواج والنكاح قد يستقذر الإنسان الجانب الجسدي فيها، خاصة الإنسان الذي فيه سمو إشراق وحياء، ولهذا جاء ذلك التعقيب يدفـع هذا الشعـور المترفع، ويبين أن كمال الإنسان في الاستجابة لفطرته وفق ما يرضى الله.

وهـا هـم رسل الله وأنبياؤه ينكحون ويتزوجون: ﴿**ولقد أرسلنا**

---

(١) آل عمران ١٤.   (٢) المعارج ٣٠.

رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾ [1].

وقد روى أهل السير، وهو في سنن ابن ماجه عن حمنة بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ وكانت تحت مصعب بن عمير رضي الله عنه، فقتل أخوها وزوجها في أحد، فقيل لها: قتل أخوك، فقالت: رحمه الله، وإنا لله وإنا إليه راجعون، قالوا: قتل زوجك، قالت: واحزناه! فقال رسول الله ﷺ: **«إن للزوج من المرأة لشعبة ما هي لشيء»**[2]. والحديث في إسناده عبدالله بن عمر العمري، وهو ضعيف[3].

وهـذا المعنى الـدال على فطرة الترابط بين الزوجين ثابت في قوله تعـالى: **﴿ومن آيـاتـه أن خلق لكم من أنفسكم أزواجـاً لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة﴾** [4] **«وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾** [5] وقل مثل ذلك في مسألة حب التستر والتصـون، حيث يمتن الله على عباده باللباس الساتر الجميل: **«يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يداري سوآتكم، وريشاً، ولباس التقوى ذلك خير»**[6].

وتـأمل هذه المعاني نفسها في قوله تعالى: **﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾** [7].

ب ـ وجاء الدين موافقاً لهذه الفطرة في عقائده وأحكامه، ولذلك سمى «دين الفطرة»، فالتوحيد الذي جاء به الأنبياء كلهم، والعبادة التي

---

(١) الرعد ٣٨.
(٢) سنن ابن ماجه ١/٥٠٧.
(٣) ميزان الإعتدال ٢/٤٦٥ التاريخ الصغير للبخاري ٢/١٥٩ المجروحين لابن حبان ٢/٦.
(٤) الروم ٢١.
(٥) الأعراف ١٨٩.
(٦) الأعراف ٢٦.
(٧) الكهف ٤٦.

أمروا بها، توافق فطرة التوجه لله، والتذلّل له المغروزة في قلب كل مخلوق. وقل مثل ذلك في قضايا التشريع.

فمثلاً: شرع الإسلام الزواج الذي يلبى فطرة غريزية عند الإنسان، وهي إشباع الظمأ العاطفي لدى الجنسين، وليس إشباع الغريزة الجنسية فحسب.

وأصل خلق الأنثى هو من الذكر ﴿**خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها**﴾ [1]، فالإلف يحنُّ لإلفه، والفرع يحنُّ لأصله، وإذا لم تجد هذه العاطفة وهذه الغريزة الطريق الحلال، اتجهت إلى الطريق الحرام. وجاء الدين آذناً بالكسب الحلال الذي يلبى حاجة الإنسان إلى التملك والاسقلال.

جـ- وجاء الدين منظماً للفطرة، ففتح أمامها الأبواب والطرق السليمة، التي تلبى حاجتها، وتشبع جوعها، لئلا تنحرف إلى غيرها، ولذلك قال تعالى: ﴿**وأحل الله البيع، وحرم الربا**﴾ [2]، فأمام الفطرة (فطرة حب الملكية) طريقان: حلال يتمثل في البيع بجميع صوره المباحة، وهو مفتوح.

وحرام يتمثل في الربا وهو من أخبث ضروب المكاسب المحرمة.

ولذلك - أيضاً - قال عليه الصلاة والسلام في الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود: «**يامعشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء**» [3].

---

(1) النساء ١.　　(٢) البقرة ٢٧٥.

(٣) البخاري ٩/١١٣ مسلم ٢/١٠١٨.

وقد قال كثير من أهل العلم إن الزواج على القادر المحتاج إلى الزواج واجب، بدلالة هذا الحديث، خاصة عند خشية الفتنة، كما في هذا الوقت الذي أصبحت المثيرات فيه لاتكاد تفارق الشاب، حتى في بيته، بل في غرفته الخاصة.

وفي مقابل ذلك حرم الإسلام الزنا وعدّه من الفواحش العظام.

وهكذا... لا يغلق الله تعالىٰ في وجه عباده باباً من أبواب الحرام، إلا ويفتح باباً من أبواب الحلال، هو خير منه وأيسر وأنظف وأحمد عاقبة، ولا يعرض عن الطريق النظيف المشروع إلا منحرف الفطرة، ممسوخ الباطن.

ولذلك جاء في حديث أبي هريرة في قصة الإسراء الطويلة أنه ﷺ أتى على قوم بين أيديهم لحم في قدر، نضيج، ولحم آخر في خبيث، فجعلوا يأكلون الخبيث، ويدعون النضيج الطيب، قال: ياجبريل! من هؤلاء؟ قال: هذا الرجل من أمتك يقوم من عند امرأته حلالاً، فيأتي المرأة الخبيثة، فيبيت معها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً، فتأتي الرجل الخبيث فتبيت عنده حتى تصبح..

والحديث رواه ابن جرير في التفسير، والبيهقي في الدلائل، وابن أبي حاتم، والبزار وغيرهم(١) وفيه غرابة، ولكن يشهد لصحة هذا المعنى أن عقوبة الزاني المحصن أغلظ من عقوبة البكر.

د - وجاء الدين مزكياً للفطرة، موجهاً لها نحو الأفضل والأطهر، انظر إلى قوله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم، وأبناؤكم، وإخوانكم،

(١) تفسير الطبري ٨/٦ سورة الإسراء زوائد البزار ١/٣٩ الدلائل للبيهقي ٢/٣٩٨.

وأزواجكم، وعشيرتكم، وأموال اقترفتموها، وتجارة تخشون كسادها، ومساكن ترضونها، أحبَّ إليكم من الله ورسوله، وجهاد في سبيله، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ (١).

إذاً فالإنسان يحب أباه، وابنه، وأخاه، وزوجه، وعشيرته، وماله، ومسكنه ووطنه، لكن أن يصل ذلك إلى حد تفضيل هذه الأشياء على حب الله ورسوله، والجهاد في سبيله، فهذا هو «الفسق» الذي يهدد صاحبه، ويقال له: تربص وانتظر حتى يأتي الله بأمره!.

ولما ذكر الله تزيين الشهوات للإنسان، من النساء، والبنين، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسومة، والأنعام، والحرث، عقب بقوله: **﴿ذلك متاع الحياة الدنيا، والله عنده حسن المآب. قل أؤنبؤكم بخير من ذلكم؟ للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، خالدين فيها، وأزواج مطهرة، ورضوان من الله..﴾** (٢).

ولما ذكر أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا عقب بقوله: **﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً، وخير أملاً﴾** (٣).

فرفع الإنسان من كونه حيواناً يشبع غرائزه الفطرية، ثم يقف عند هذا الحد، إلى كونه مؤمناً متطلعاً إلى اللذات الكاملة الدائمة في جنات النعيم.

وشتان بين لذة الدنيا الفانية، ولذة الآخرة الباقية، شتان بين لذة عابرة خاطفة في هذه الدار، قبلها الجوع، والعطش، والشبق، والحرمان،

(١) التوبة ٢٤.
(٢) آل عمران ١٤ ـ ١٥.
(٣) الكهف ٤٦.

والبعـد، وبعـدها الإعراض، والملل، والكراهية، وهو مشوبة بالأكدار والأحزان والمخاوف والآلام . . . وبين لذة في الجنة لا يسبقها حرمان، ولا يلحقها ملل، ولا يقارنها هم ولا حزن.

وتـأمـل كل لذة في هذه الدنيا تجد قبلها، أو معها، أو بعدها، ما تستقذره النفس، وتشمئز منه، وهذه آية بينة لقوم يعقلون.

وحين كان المؤمنون يعون هذه المعانى، ويتذوقونها اعتدلت الموازين في نفوسهم، فلم يعرضوا عن المباح إعراض الرهبان، ولا أقبلوا عليه إقبال أهل الجحود والكفران، بل جعلوه سلماً لترقية النفس وتهذيبها، وضحوا به إذا دعا داعى البذل والجهاد.

وإذا كان حب الحياة من أعمق الغرائـز في النفس، فانـظر كيف استعلى المؤمنون على ذلك، فكانوا يحبون الموت في سبيل الله، كما يحب عـدوهم الحيـاة.

فهذا ابن الخطاب رضى الله عنه لما صدر من منى، أناخ بالأبطح، ثم كوم كومـة بطحاء، ثم طرح عليها رداءه واستلقى، ثم مدّ يديه إلى السـماء، فقال: اللهم كبرت سنى، وضعفت قوتى، وانتشرت رعيتى، فاقبضني إليك غير مضيع، ولا مفرّط . . ، فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل رحمه الله . . . رواه مالك(١).

وكان يقول ـ كما في البخاري ـ : اللهم أرزقنى شهادة في سبيلك، واجعل موتى في بلد رسولك(٢)!.

---

(١) موطأ مالك ٢/٨٢٤.
(٢) البخاري ٤/١٠٠.

وما المواقف الشجاعة التي وقفها عمير بن الحمام، وأنس بن النضر، ومصعب بن عمير، وعكرمة بن أبي جهل، والبراء بن مالك، ثم من بعدهم - على مدار التاريخ - إلا حلقات في هذه السلسلة المتصلة.

ولقد كان الطرماح بن حكيم يتحدث باسمهم جميعاً حين قال:

وإني لمقتادٌ جوادي فقاذف ... به وبنفس العام إحدى المقاذفِ
فياربِّ إن حانت وفاتي فلا تكن ... على شرجع يُعلى بخضر المطارقِ
ولكن أحنْ يومي سعيداً بعصبةٍ ... يصابون في فجٍ من الأرض خائفِ
عصائب من شيبان ألّف بينهم ... تقى الله، نزالون عند التزاحفِ
إذا فارقوا دنياهمُ فارقوا الأذى ... وصاروا إلى موعود ما في المصاحفِ
فأُقتل قعصاً ثم يرمىٰ بأعظمي ... كضغث الخلا بين الرياح العواصفِ
ويصبح قبري بطن نسرٍ مقيله ... بجو السماءِ، في نسورٍ عواكفِ

إن الموت في سبيل الله، مع هذه العصابة من فوارس بني شيبان الشجعان المغاوير، ممن تحابوا في ذات الله، وألف بينهم تقى الله، هو أقصىٰ ما يتمناه، إذ هذه الميتة تعني مفارقة هذه الدنيا المليئة بالأذى والكدر، وتعني الوصول إلى جنات الله التي وعدها المتقين والشهداء، ولا يضير الشهيد أن يقتل قتلاً سريعاً، ثم ترمى عظامه في الصحراء لتتنازعها تلك النسور العواكف العوائف.

وهذا الوعد الموعود هو: ﴿**قل أؤنبؤكم بخير من ذلكم؟ للذين أتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وأزواج مطهرة، ورضوان من الله**﴾ (١). فإذا كان وجودك في هذه

(١) آل عمران ١٥.

الدنيا مهدداً بالموت في كل لحظة، فالبقاء الأبدي الذي لا يطرأ عليه الفناء هو في الدار الآخرة الموعودة.

وإذا كان الحب بين الزوجين غريزة موجودة، لحكمة مشهودة، فإن المنغصات بينهما كثيرة، والمكروهات الجسدية والنفسية قائمة، والحياة الزوجية السعيدة بكل معانى السعادة إنما هي في الأخرة، ولهذا قال: ﴿وأزواج مطهرة﴾، وفي هذا إشارة إلى وجوب تقديم ماعند الله على ما في الدنيا، والتضحية بهذه من أجل تلك - إذا اقتضى الأمر - .

ولذلك لما أراد أحد المسلمين - وهو النابغة الجعدي، الشاعر - أن يخرج في سبيل الله مجاهداً، أمسكت به زوجه، وهي تبكى وتسأله: كيف تخرج وتتركنى وحدى؟ فولى، وهو يغالب عواطفه، ويقول:

باتت تذكرني بالله قاعدة والدمع ينهلّ من شأنيهما سبلا
يابنت عمى كتاب الله أخرجنى كرهاً، وهل أمنعنّ الله ما فعلا؟
فإن رجعت فرب الناس يرجعنى وإن لحقت بربى فابتغى بدلا.
ماكنت أعرج أو أعمى فيعذرنى أوضارعاً من ضنىً لم يستطع حولا.

ومن الطريف في هذا المقام ماذكره ابن إسحق وغيره من أهل السير عن فروة بن عمرو الجذامي وهو ملك عرب الروم، وكان قد أسلم، فعلم به الروم، فحبسوه، وأرادوه على الكفر، فأبى، وأصر على الإسلام، فصلبوه إلى خشبة، وفوقوا إليه السهام، وهم يهددونه إن لم يرجع بالقتل.. ففى هذا الموقف الصعب يستمسك الرجل بعقيدته، وتمر في ذاكرته صورة المسلمين الذين لم ير منهم إلا أفراداً قلائل، فيرسل إليهم السلام، ويبلغهم أنه صابر ثابت:

بلّـغ سـراة المسلميـن بأننـي سلـمٌ لربـى أعظمى ومقامى

نعم. أنـا الآن أمـوت مسلماً لله، قد خشـع له لحمى وعظمى وعصبى ومخى، إنه شعور عظيم لدىٰ هذا المسلم المغترب.

ثم يتذكر حليلته وقرينة سفره، وحيدة متأيماً، فيقول:

ألا هل أتى سلمىٰ بأن حليلها على ماء عفرا، فوق إحدىٰ الرواحل

على ناقة لم يطرق الفحل أمها مشذبـةٍ أطرافـه بالمناجـلِ

فهـو مصلوب على ماء بفلسطين، اسمه (ماء عفراء) على خشبة مشذبة أطرافها بالمناجل، وقد شبهها بالراحلة.

وهذا أبو طلحة الأنصاري يسمع قوله تعالىٰ: ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**﴾ وكان أحب ماله إليه بير حاء، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يدخلهـا، ويشرب من ماءٍ فيها طيب، يأتي أبو طلحة لرسول الله ـ ﷺ ـ فيقـول: يارسول الله، إن الله تعالى أنزل عليك: ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**﴾[1] وإن أحب مالى إليّ بيرحاء، وإنها صدقة لله تعالىٰ، أرجو برّها وذخرها، فضعها حيث أراك الله، فقال ﷺ: بخٍ بخٍ (وهي كلمة تعجّب) ذاك مال رابح، ذاك مال رابح. والحديث متفق عليه عن أنس[2].

وهكذا يستعلى المؤمن على ما يحب في هذه الدنيا من الأزواج والشهوات والأولاد والأموال والحياة لإيمانه بأن الحياة ليست نهاية المطاف، بل هي ساعات معدودة بالقياس إلى الخلود السرمدي الأبدي في الدار الآخرة.

وهل تظن أن المسلم الكريم وهو يضحى بهذه الأشياء لا يرغب فيها؟

---

(١) آل عمران ٩٢. (٢) البخاري ٣/٣٢٥ مسلم ٢/٦٩٢.

كلا. بل هو يحب المال فينفق مما يحب، ويحب الحياة فيبذلها رخيصة في سبيـــل الله.

ومن الذي بذل الحياة رخيصة ورأى رضاك أعز شيء فاشترى؟ أتظن أن المسلم وهو يغالب شهواته، ويجاهد نفسه على الطهر والعفاف لا يجيش في نفسه الهوى؟ كلا. بل يتحرك في نفسه من النوازع مثل ما في نفوس الفجار أو أشد ولكنه يخاف مقام ربه فينهى النفس عن الهوىٰ.

﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوىٰ. فإن الجنة هي المأوىٰ﴾[1] وهذا رسول الله ـ ﷺ ـ أوتى قوة أربعين رجلاً في الأكل والشرب والجماع والشهوة، ومع هذا تصفه عائشة أم المؤمنين بأنه كان أملككم لإ ربه ـ يعنى لحاجته ـ[2].

★ ★ ★

وهكـذا يظهـر كيف جاء الـدين معترفاً بالفطرة، موافقاً لها، منظماً لطريقة إشباعها، مزكياً مهذباً لها.

---

(١) النازعات ٤٠.

(٢) مسلم ٢/٧٧٦.

٣ ـ موقف الجاهليات من الفطرة

ولقد أخذ الشيطان على نفسه عهداً بقوله: ﴿**لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضا. ولأضلنهم، ولأمنينهم، ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام، ولآمرنهم فليغيرنّ خلق الله**﴾[1].

والله تعالى يأمر عباده أن أقيموا وجوهكم للدين الحنيف الملائم للفطرة، ثم يقول ﴿**لا تبديل لخلق الله**﴾[2] فيحاول الشيطان تغيير هذه الفطرة بالمسالك المنحرفة، فيدعوا الإنسان إلى ما يخالف فطرته الظاهرة والباطنة التي خلق عليها، فيدعوه إلى الشرك بالله بجميع صوره وأشكاله، ويدعوه إلى اتباع الأحكام والتشريعات الطاغوتية التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ومن ذلك ما كان يفعله في أهل الجاهلية الأولى من تقطيعهم لآذان الأنعام علامةً على أنها نسائك للاوثان والأنداد.

ومما يؤكد هذا المعنى قوله ـ ﷺ ـ في حديث الفطرة: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟**»[3].

وعلى هذا فأمره لهم بتغيير خلق الله هو أمره لهم بمخالفة الفطرة الظاهرة والباطنة التي جاء الدين ملائماً لها.

---

(١) النساء ١١٨.

(٢) الروم ٣٠.

(٣) سبق تخريجه.

فيأمره بالشرك في عبادة غير الله من الأوثان والطواغيت، سواء كانت من شجر، أو حجر، أو بشر، أو درهم ودينار، أو امرأة، أو رجل. . وهذا تغيير للفطرة الباطنة. ويأمره بالتصرف في نفسه، أو أهله، أو ماله بما لم يأذن به الله، كمن يشقون آذان الأنعام لأصنامهم، أو يحلقون شعورهم المحرمة. . وهذا من تغيير الفطرة الظاهرة.

ومحادّة الشيطان لله تعالىٰ في هذا ـ وفي غيره ـ معروفة مكشوفة، ولكن العجيب أن الناس ينساقون معها بوعيٍ، أو بدون وعي. . وأعجب من ذلك أن ينساق معها المسلمون الذين يؤمنون بأن الشيطان موجود ـ فعلاً ـ، ومسلط على ابن آدم!.

تحدٍ صارخ لشرائع الله، أن المرأة المأمورة شرعاً بالتستر صارت تتبرج يوماً بعد يوم، وتتحايل لإبراز زينتها بكل وسيلة، وتتنازل يوماً بعد آخر عن قدرٍ من الحجاب الشرعي الذي جملها به الخالق العظيم، وعلى النقيض من ذلك الرجل الذي صار يطيل ثيابه ويسحبها ذراعاً أو شبراً!.

وحين كانت المرأة تطيل ذيلها التزاماً بالأدب والستر، وجد من يسخر منها ويدعو إلى نزع الحجاب، ويقول:

سيري كسير السحب، لا تأني ولا تتعجلي لا تكنسي أرض الشوارع بالإزار المسبل.

ولكننا لم نجد من يقول ذلك ـ بشجاعةٍ ـ للمسبلين!.

والمرأة أصبحت تنهك شعر رأسها بالقص الذي يشبه الحلق، حتى كأن رأسها رأس شاب ما طال شعره، وفي الشعر من التميز والزينة والجمال ما جعل القرون تطبق على مدح المرأة به، وعلى النقيض من ذلك أصبح الشاب يطيل شعر رأسه، ويقضي وقتاً طويلاً في تسريحه ودهنه. . !

وهذه من سخريات الشيطان الرجيم بمن يطيعونه في بعض الأمر!

وبالجملة فإن موقف الشيطان وحزبه من هذه الفطرة المركوزة في الإنسان متجدّد في أحد موقفين:

الأول: مسخ الفطرة، وذلك بتوجيهها الوجهة المنحرفة، ومناقضة ما أمر الله به ورسوله، فيفتحون الباب المحرم للإشباع، ويغلقون الباب المشروع - ما استطاعوا - . فيستغل الشيطان حب الإنسان للتقليد مثلاً، أو حبه للوفاء لآبائه وأجداده، ليغريه بالتمسك بالتراث الموروث عنهم، والعادات والتقاليد المنحرفة، ورفض الجديد، ولو كان حقاً، وكم من إنسان حال بينه وبين الحق أنه لم يعهد عليه مجتمعه وأباه وأمه.

ولذلك لما أسلم (بجير بن مالك) أرسل إليه أخوه (كعب بن مالك) الشاعر، قبل أن يسلم قصيدة يعاتبه فيها على الإسلام، ويقول:

ألا بلغا عني بجيراً رسالةً فهل لك فيما قلت، ويحك، هل لكا؟
فبيّن لنا، إن كنت لست بفاعلٍ على أي شيءٍ غير ذلك دلّكا؟
على خلُقٍ لم تلف أماً ولا أباً عليه، ولم تدرك عليه أخا لكا.

وهكذا سائر المشركين، رفضوا الحق الجديد، محتجين بأنهم ألفوا آباءهم على شيء، فهم لا يستطيعون مخالفته: **﴿إنهم ألفوا آباءهم ضالين. فهم على آثارهم يهرعون﴾**[1].

إنها الحجة الداحضة، والطاغوت الأكبر الذي يغبر فيه المعاندون في وجه الحق: **﴿أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون؟ بل قالوا: إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مهتدون. وكذلك ما أرسلنا**

(١) الصافات ٧٠.

من قبلك في قريةٍ من نذير إلا قال مترفوها: إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مقتدون. قال: أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم؟ قالوا: إنا بما أرسلتم به كافرون﴾[1].

وكم من الناس اليوم ـ من المسلمين ـ إذا دعي إلى حقٍ لا يعرفه، ولم يجد عليه أباه وأمه، قال: هذا دين جديد! هذا شيءٌ ما عرفناه، أنا عمري تسعون أو ثمانون سنة ما رأيت هذا ولا سمعت به!.

وإذا كنت ما رأيت هذا ولا سمعتَ به يكون ماذا؟! إذا كان العالم يخفى عليه الكثير من العلم فما بالك بأمثالك من الجهال الذين أضاعوا عمرهم في غير طائل؟.

وقد تجد من الناس اليوم من يهتم بما يسمىٰ «الفلكلور» والتراث الشعبي أكثر مما يهتم بمعرفة الدين الذي ينتسب إليه، بل لعله لا يهتم بمعرفة الدين إلا باعتباره «جزءاً» من هذا التراث ـ كما يزعمون، ولهم الويل مما يصفون ـ .

ويستغل الشيطان حب الإنسان للبلد، وإلفه له، ليحول هذا الحب إلى تقديس وعبادة صريحة، حيث نجد اليوم من يقول:

وطني لو صوروه لي وثناً همممت ألثم ذلك الوثنا.

أو يقول:

ويا وطني لقيتك بعد يأسٍ كأني قد لقيت بك الشبابا
أدير إليك ـ قبل البيت ـ وجهي إذا فهت الشهادة والمتابا!

عجايب: رجل يفوه الشهادتين، والمتاب، ويدير وجهه إلى وطنه قبل أن

---

(١) الزخرف ٢٢ ـ ٢٥.

يديره إلى الكعبة! وتجد من يدعو إلى التجمع تحت مظلة «الوطن» و «الوطنية» التي يلتقي في ظلها المسلم والكافر على حدٍ سواء.. حتى ليهتف شاعر فيقول:

هبوني ديناً يجعل العرب أمةً وسيروا بجثماني على دين «برهمِ»
ألا حبذا كفرٌ يوحدّ بيننا ....

وكم حال التعلق بالوطن بين المسلم وبين الهجرة إلى الله ورسوله؟ وبينه وبين الانطلاق في الدعوة إلى الله؟ ودعاه إلى الذل والركون والاستسلام.

وحب الوطن أمر جبلي لا يحمد بذاته ولا يذم، وحديث «حب الوطن من الإيمان» حديث موضوع، ولو كره الوطنيون!.

فإذا كان الحب للوطن مدعاة للدفاع عنه ضد العدو الظاهر الذي يريد احتلاله بالسلاح، وضد العدو المتستر الذي يريد احتلاله بالفكر والانحلال فنعما هو:

بالشام، أهلي، وبغداد الهوى، وأنا بالرقمتين، وبالفسطاط جيراني
ولست أبغي سوى الإسلام لى وطناً الشام فيه ووادى النيل سيانِ
وحيثما ذكر اسم الله في بلدٍ عددت أرجاءه من لب أوطاني

ويقول آخر:

أنا عالمي، ليس لي أرض أسميها «بلادي»
وطني هنا، أو قل هنا لك حيث يبعثها المنادى
فالقفر أحلى من ربا ضىٍ في رباها القلب صادى!

أما إن كان حب الوطن مدعاة للعبودية له، والتضحية بالدين في سبيله، فهي عندئذٍ «وثنية» بلا قناع!.

أما الحب الفطري الجبلي فلا يمدح ولا يذم، ولكنه كحب الزوج ﴿**فإنهم غير ملومين**﴾[1] ويستغل الشيطان حب الإنسان للحياة والبقاء ليثنيه به عن الجهاد في سبيل الله خوفاً من نيل الشهادة!.. وهكذا يجيء للابن من الناحية التي كاد فيها للأب ﴿**يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى**﴾[2]!!.

وهـذا يحدث في حبـه لماله وزوجه وولده حيث يجعل منها الشيطان وسائل يعرقل بها سير العبد إلى ربه بالدعوة، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، إما خوفاً عليهم، أو خوفاً من فراقهم.

وقد أشار النبي - ﷺ - إلى استغلال الشيطان لهذه الغرائز المركوزة في النفس، فقال في حديث سبرة بن الفاكه - قال ﷺ -: «**إن الشيطان قعد للابن آدم بأطرقه: فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تسلم، وتذر دينك، ودين آبـائـك، وآباء أبيك؟ قال: فعصاه، فأسلم. ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر، وتذر أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطوَل (يعنى في الحبل)، قال: فعصاه، فهاجر. ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: هو جهد النفس والمال، فتقاتل، فتقتل، فتنكح الزوجة، ويقسم المال، قال: فعصاه فجاهد.. الحديث**»[3].

فهذا تهييج شيطانى لفكرة التقليد للآباء، والوفاء لتراثهم، ليمتنع عن الإسلام، ثم تهييج آخر لحب الوطن ليمتنع عن الهجرة، وتهييج ثالث

---

(١) المعارج ٣٠. (٢) طه ١٢٠.

(٣) مسند أحمد ٤٨٣/٤ صحيح ابن حبان (الإحسان) ٥٧/٧ النسائي ٢١/٦ بسند حسن.

لحب البقاء، وحب الزوجة، وحب المال، ليمتنع عن الجهاد، ولكن الإنسان المؤمن يتمرد على وسوسة الشيطان، فيسلم ويهاجر ويجاهد فيكون حقاً على الله أن يرضيه ـ كما في الحديث نفسه ـ.

ومن صور تلعّب الشيطان بالإنسان في شأن الفطرة، أن الإنسان مفطور على الميل للجنس الآخر الذي يكمله، ففي الرجل ميل إلى المرأة، وفي المرأة ميل إلى الرجل، والشيطان وآله من شياطين الجن والإنس في كل عصر ـ وفي زمننا هذا خاصة ـ يحاولون أن يجعلوا من هذا الميل الغريزي خنجراً يطعنون فيه الإسلام والمسلمين، وذلك من خلال الخطة التالية:

١ ـ العمل بكل وسيلة على تهييج الغريزة الجنسية وإثارتها، من خلال الصورة الجذابة الملونة المثيرة، ومن خلال المسلسل الذي يستلم الأجيال ـ من الجنسين ـ ليربيهم على كيفية الاقتناص، والحب الهابط، والخيانة، ويعطيهم الأسوة والقدوة بهؤلاء الممثلين، ومن خلال المجلة التي تتاجر بالمرأة من مجلات الأزياء، والفن، والسينما، والرياضة، والجمال.. وغيرها.. تُجبىٰ إليه ثمرات كل شيء!. ومن خلال الأغنية الهابطة التي تخاطب في الإنسان أحط ما فيه، بصورة مباشرة أحياناً، وغير مباشرة أحياناً أخرى، ومن خلال الدواوين الشعرية التي قصرت نفسها على دغدغة الأحاسيس الجنسية. ومن خلال القصص والروايات الغرامية التي تباع في قارعة الطريق. ومن خلال الأفلام التي تصنعها أيدي «يهود» لتدمير العالم أخلاقياً حتى تمكن السيطرة عليه بسهولة.. إلى آخر هذه المثيرات التي أصبح الواقع يضج بها ضجيجاً، وهي تلاحق الشاب والفتاة في البر والبحر والجو!.

٢ ـ وفي الوقت الذي يشحذ فيه الشيطان غريزة الإنسان، فإنه يقوم بعمل آخر متزامن مع هذا العمل، وهو سد الأبواب المشروعة للإشباع الفطري، وذلك بوضع العراقيل والعقبات الحقيقية والوهمية في هذا السبيل، ويختلق عوائق اجتماعية، وعوائق نفسية، وعوائق عقلية، وعوائق اقتصادية للتأثير على الشباب والشابات بمؤثرات كثيرة تقنعهم بأن قضية الزواج مسألة صعبة يجب عدم التفكير فيها الآن لأسباب عديدة!.

منها مواصلة الدراسة، والعمل على تأمين المستقبل، ومنها عدم توفر الإمكانيات اللازمة، ومنه الظروف البيتية، ومنها انصراف النفس أصلاً عن التفكير في هذا الموضوع وعدم التهيؤ له، بسبب مؤثرات تظهر بصمات إبليس في معظمها.. وقد جند آلاف الصفحات، والمطابع، والمحررين، والأجهزة المختلفة لتحقيق هذا المطلب، وتضخيم هذه العقبات.

أما الفتاة فهي لا تريد الزواج الآن لأنها لازالت طالبة في الجامعة، ويتقدم الأكفاء فترفضهم بهذه الحجة، فلا تتخرج إلا وعمرها ثنتان وعشرون سنة ـ على أقل تقدير ـ، فترغب أن تعمل لعدد من السنوات قبل الزواج، لأن من غير المعقول أن تستلم الشهادة الجامعية، وتعلقها في المطبخ! ـ هكذا تقول ـ، ثم تبدأ في فترة متأخرة تفكر في الزواج وهي تحتفظ بشروطها العسيرة فيمن ترضاه شريكاً لحياتها.. وتمر السنوات، والخطاب يتناقصون، ونوعيتهم تضعف، والآمال تذبل... وكم من فتاة تبلغ الثلاثين والخامسة والثلاثين وهي رهينة بيتها.. وقد أوشكت شمعة عمرها ـ عمر الإنجاب ـ على الانطفاء، وهي لم تصح إلا متأخرة، وبعد فوات الأوان، فدفعت ثمن هذه

التجربة غاليا، لأن الزمن لا يرجع إلى الوراء! .

وهنـاك نوع من العقبات قد يكون واقعاً وهو ثقل التكاليف المالية، والتبعـات، والإجـراءات التي يتـطلبهـا الزواج، وهذه هي الأخرى يسعى الشيطان للزيادة فيها يوماً بعد يوم ليحكم لعبته في الحيلولة بين الشباب وبين تلبية نداء غرائزهم بالطريقة الشرعية.

وتقصى جوانب هذه المؤامرة المتمثلة في وضع العقبات واختلاقها أمام الإشباع الصحيح أمر يطول، وهذه مجرد أمثلة تنبه على ما وراءها.

٣ ـ فإذا هاجت الغريزة بفعل المؤثرات الكثيرة، ذهبت تبحث عن الطريق السليم فوجدته مغلقاً، فارتدت إلى الطرق المنحرفة فوجدتها مفتوحة على مصاريعها، والشيطان يرقص عندها ويقول:

خــلا لــكِ فغنّـى واطربــى .. وخربــى مـا شئـتِ أن تخربى!

فهو يعمل ـ مباشرة، ومن خلال وكلائه ومندوبيه الذين يعرفون من ثمارهم ـ يعمل على تهيئة سبل الاتصال المحرم.. فيدعو إلى خروج المرأة لتعمل على تحقيق ذاتها بالعمل دون قيد أو شرط، وإلى اختلاطها بالرجل في كل ميدان، وإلى السفور والتبرج، وإلى السفر إلى البلاد الإباحية التي ما عرفت الله يوماً من دهرها... ويسمى هذه الأشياء بأسـماء براقـة مثـل [تحرير المرأة، الاختلاط البريء، تحريك نصف المجتمع المعطل، الانفتاح على العالم...].

ومن خلال هذا الثـالـوث الـرهيب تنهار المجتمعات: تتحرك غريزة الشاب، وتجعل جسمة يضطرم بالنار، فيسعى إلى السبيل الحلال ـ إن كان عنـده دين وخوف من الله ـ فيجد أمامه هذه العقبات الجسام، ويجد قوى خفية تجره إلى الطريق الحرام الميسّر!، فيسقط في المرة الأولى

بحثاً عن اللذة، ثم يتحول إلى مدمنٍ مولع بهذه المستنقعات الآسنة، يفرّ منها إليها:

وكأسٍ شربت على لذةٍ.. وأخرى تداويت منها بها!

وإحباط هذه المؤامرة إنما هو بأيدي أهل الإسلام ـ ذكرانهم وإناثهم ـ بعد إرادة الله التي لا تغلب، وذلك بمقارعة أولياء الشيطان ومنازلتهم في ميادين الخصومة والصراع، وفضح هذه المؤامرة على الملأ، وإحباطها عملياً بأن تنزع تأثيراتها الخفية من نفوسنا، ونفوس من حولنا، ونعمل على نقضها بالمبادرة إلى الزواج، وتقديمه على الأعمال الأخرى التي لا تساويه ـ إذا لم يتسنّ الجمع بينهما، وتذليل العقبات المادية والاجتماعية، وتيسير أسبابه ـ مهما أمكن ـ ولنا قدوة في ذلك الصحابي الذي قال لرسول الله ـ ﷺ ـ: زوجني هذه المرأة، فالتمس مهراً فلم يجد ولا خاتماً من حديد. فقال: ليس معي إلا إزاري هذا، فأصدقها نصفه، ولم يكن عليه رداء![1]. فهو مستعد لأن يتخلىٰ عن جزء من إزاره من أجل تحقيق هذا المطلب الحيوي المهم: الزواج.

ولا يمنع من ذلك قلة ذات اليد، فالنكاح من أسباب الغنى: **﴿وأنكحوا الأيامى منكم، والصالحين من عبادكم وإمائكم، إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله﴾**[2]، والشاب إذا تزوّج شعر بالمسؤولية فاتجه للكسب وتحصيل ما يحتاجه من المال.

ويجب كشف تناقضات الفاسقين المنادين بتحرير المرأة، وهم يريدونها قنيةً تعرف بين أيدهم، المطالبين بإخراجها من سلطة الأب والأخ

(١) البخاري ٩/١٣١ مسلم ٢/١٠٤٠. (٢) النور ٣٢.

والزوج لكي ترسف في قيودهم، المحاربين للتعدد، وهم يؤلبون الناس على قضاء إجازاتهم في البلاد المنحلة . .

ومن صور مسخ الشيطان للفطرة أن الإنسان مفطور على حب المعرفة والاستطلاع، فبدلاً من سلوك الوسيلة الشرعية عن طريق طلب العلم وتحصيله، وعن طريق توقع النتائج من أسبابها ومقدماتها، وعن طريق الرؤيا الصالحة التي أخبر النبي - ﷺ - أنها من المبشرات، وأنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، عن طريق الدعوة الصادقة التي يقول فيها القائل:

وإنـــي لأدعو الله حتى كأنمـــا أرى بجميـل الظن ما الله صانعُ .

وعن طريق معرفة التجارب التاريخية والانتفاع بها .

فبدلاً من هذا كله يسلك الشيطان بالإنسان في إشباع غريزة حب الاطلاع مسالك الردى، فيغريه بالتشبع بثقافات الأمم الأخرى - خاصة وهي تحقق للإنسان تميزاً عمن حوله، والمولع بقراءة ما وقع في اليد من الغث والسمين، ومحاولة الولوج إلى كل مكان بقصد الاطلاع .

فإذا جاء شأن الغيبيات أغراه بزيارة الكهان والعرافين والمنجمين، وقارىء الكف، وقارئة الفنجان، وحظك هذا اليوم . . . !

وهذا كله شيء من حيل الشيطان في مسخ الفطرة، وهو الشق الأول من كيده لتغيير خلق الله .

أما الموقف الثاني: فهو نسخ الفطرة، وهو محاولة إلغائها بالكلية، فقد يغرى الإنسان بالرهبانية التي تتنكر للفطرة، وتنهكها حتى تقضي عليها أو تكاد، وهذا يحدث لمن هو متطهر غير متقبل للانحراف والفساد.

وقد تسللت هذه الفكرة النصرانية إلى أمة التوحيد عن طريق الدعوات الصوفية المتأثرة بهذا المسلك، والتي تبالغ في تعظيم الجانب الروحي على حساب جوانب الشخصية الأخرى، وخير الهدى هدى الأنبياء: يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، وجعلنا لهم أزواجاً وذرية. ومن محاولة نسخ الفطرة القضاء على الغيرة التي توجد حتى في الكلاب، وتربية المجتمع على الدياثة، حتى ليفتخر الزوج في المجتمعات الغربية بتعرى امرأته أمام الملايين من المشاهدين، وهكذا يعود نظام المجتمع البدائي المتخلف، ولكن باسم «الحضارة!».

ومن محاولة نسخ الفطرة ما تدعو إليه الشيوعية من إلغاء الملكية الفردية، والإباحية الجنسية، وتأميم المواليد باعتبارهم أولاداً للدولة يربّون في محاضنها، ليعملوا في مصانعها. ولكن الذي يغالب الفطرة ويحاربها فإنما يحارب أمراً جبلياً وضعه الله، وأنزل الدين المناسب له، ومغالب الله مغلوب:

زعم المسفّه أن يغالب ربّه ولُيغلبنّ مغالب الغلابّ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

صف تصويري واخراج (وكالة الفرقان للدعاية والاعلان) بشارع الضباب
ص.ب ٢١٤٤١ - الرياض ١١٤٧٥ - ت ٤٠١٤٦٧١ - ٤٠٢٥٩٦٤

الفهرس

الموضوع	الصفحة
● المقدمة	٣
● ثلاث فوائد من حديث الفطرة	٥
● الفطرة الإنسانية	٧
● موقف الإسلام من الفطرة	٩
(أ) مقر بالفطرة	٩
(ب) موافق للفطرة	١١
(جـ) منظم للفطرة	١٢
(د) مزكي للفطرة	١٣
● موقف الجاهليات من الفطرة	٢٠
(أ) مسخ الفطرة	٢٢
(١) حب تقليد الأباء	٢٢
(٢) حب الوطن	٢٣
(٣) حب الجنس الآخر	٢٦
(٤) حب المعرفة والأستطلاع	٣٠
(ب) نسخ الفطرة	٣١

مقتطفات

● الفطرة: هي ما جبل عليه الإنسان في أصل الخلقة من الأشياء الظاهرة والباطنة.

● شرع الإسلام الزواج الذي يلبى فطرة غريزية عند الإنسان وهي إشباع الظمأ العاطفي لدى الجنسين وليس إشباع الغريزة الجنسية فحسب.

● حب الوطن أمر جبلي لا يحمد بذاته ولا يذم، فإذا كان مدعاة للدفاع عنه ضد العدو فنعما هو، أما إن كان مدعاة للعبودية له والتضحية بالدين في سبيله فهي عندئذ وثنية.

● يستغل الشيطان حب الإنسان للتقليد أو حبه للوفاء لأبائه وأجداده، ليغريه بالتمسك بالتراث الموروث عنهم والعادات والتقاليد المنحرفة ورفض الجديد ولو كان حقاً.

● تجد من الناس اليوم من يهتم بما يسمى (الفلكور) والتراث الشعبي أكثر مما يهتم بمعرفة الدين بل لعله لا يهتم بمعرفة الدين الا باعتباره جزءاً من هذا التراث.

مؤسسة الجبريسي للتوزيع ـ الرياض ١١٤٣١ ص . ب: ١٤٠٥ ت: ٤٠٢٢٥٦٤ جدة: ٦٨٢٦١٠٥ (الدمام ٨٢٧١٨١١)

دار الراية للنشر والتوزيع ـ الرياض ١١٤٩٩ ص . ب ٤٠١٢٤ هاتف ٤٩١١٩٨٥ مصور (فاكس) ٤٠٦٦٩٤٩